ويذهب بعض الدارسين إلى أن هذه الرواية يجب أن تفسر في ضوء حقائق علم النفس، وخاصة «عقدة أوديب» التي تؤكد كراهية الابن لأبيه وحبه لأمه، ودافع التنافس الجنسي[٢٦]. فالمرأة اللعوب «جروشنكا» تمثل الغنيمة التي يتنافس عليها الأب «فيدور» وابنه «ديمتري» الذي يعد مشاركاً في الجريمة، أو يعد قاتلاً معنوياً، لأنه قصد قتل أبيه، ولكنه صادف العجوز «جريجوري» فشج رأسه[٢٧].

وإذن فإن «جروشنكا» ـ في رأي هؤلاء الدارسين ـ تجسيد لحقدهما (أي الأب وابنه) المتبادل، أكثر منها سبباً له[٢٨]. والدليل على ذلك أن «ديمتري» لا يحترق بنار الغيرة من «سامسونوف» حامي «جروشنكا» الذي كان يغازلها، بالرغم من علم ديمتري بهذا، وما السبب في وجود هذا الحقد بينهما؟ إن السبب ـ في رأي هؤلاء النقاد ـ ذو جذور عميقة «مرتبطة، ولو بصورة غير مباشرة، بأم ديمتري»[٢٩].

والحقيقة أن هذه الرواية الغنية أكبر من عقدة أوديب. فالنظر إليها في ضوء علم النفس وحده خطأ كبير لا يمكن السكوت عليه. فهؤلاء النقاد ينسون أو يتناسون الخلفية الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية التي خلقت هذا الحقد وهذا الصراع بين الأب وأبنائه.

إن كراهية الأبناء لأبيهم ـ برأينا ـ ناتجة بالدرجة الأولى عن تلك المعاملة اللا إنسانية التي كان يعاملهم بها، وذلك الحرمان الذي كانوا يعانون منه هم الذين حرموا من حنان الأمومة، وكانوا ينتظرون أن يجدوا في معاملة أبيهم عوضاً عنه. ويكفي أن نذكر أن «فيدور» الأب لم يعبأ إطلاقاً بميلاد ابنه «ديمتري» ـ على سبيل المثال ـ وجهله تماماً وكأنه لم يوجد. ولولا الخادم العجوز «جريجوري» الذي أشفق عليه ورباه وأطعمه من فتات مائدة الأب حتى أصبح يافعاً، لما قدر له حتى العيش، ولولا عناية قليلة من خالتي «ديمتري» وبعض أقاربه لما حظي حتى بالانتماء إلى تلك المدرسة العسكرية المتواضعة[٣٠]. إن ديمتري كان يعيش في ثياب مهلهلة، ويُرى وهو «يتسكع